

المقدمة

✍ إن الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

✍ **أما بعد:**

فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

✍ **أما بعد:**

فإن طلب الحق أحلى في النفوس الأبيّة من الشمس في رائعة النهار،

وقطب تدور عليه همم الأخيار، وعُباب تنصبّ منه جداول شمائل الأطهار، ومتى علت الهمة في طلب الحق، حملت على مفارقة العوائد وطلب الأوابد، فإن الحق في مثل هذه الأعصار قلّما يعرفه إلا واحد، وإذا عظم المطلوب قلّ المساعد، فإن البدع قد كثُرت، وكثرت الدعاة إليها، والتعويل عليها، وطالب الحق ـ اليوم ـ شبيه بطُلاّبه في أيام الفتْرة، وهم سلمان الفارسي، وزيد بن عمرو بن نُفيل وأضرابهما، رحمهما اللّه تعالى، فإنهم قدوة لطالب الحق، وفيهم له أعظم أُسوة، فإنهم لما حرصوا على الحق، وبذلوا الجهد في طلبه، بلّغهم اللّه إليه، وأوقفهم عليه، وفازوا من بين العوالم الجمّة، فكم أدرك الحق طالبُه في زمن الفترة! وكم عمي عنه المطلوب له في زمن النبُوّة! فاعتبر بذلك، واقتد بأولئك، فإن الحق ما زال مصونًا عزيزاً، نفيسًا كريمًا، لا يُنال مع الإضراب عن طلبه، وعدم التشوّف والتشوّق إلى سببه، ولا يهجم على المبطلين المعرضين، ولا يُفاجئ أشباه الأنعام الغافلين، ولو كان كذلك ما كان على وجه الأرض مبطل ولا جاهل، ولا بطّال ولا غافل»[1] .

إن الحق لا ينثني ولا ينحني، إنما يسير في طريقه قيمًا لا عوج فيه، قويًّا لا ضعف فيه، صريحًا لا مداورة فيه، إنه ليس ملكًا لأحد حتى يجامل فيه، إنما هو للّه عز وجل، والحق قد يغزو قلوب ذوي السلطان والجاه فيصبحون له جنداً وخدمًا فيفلحون، ولكنه هو لا يفلح إذا كان من جند السلطان وخدمه، فهو من أمر اللّه، وهو أعلى من ذوي السلطان والجاه.

الحق له قوته وصدقه وثباته، والباطل له زهوقه واندحاره وجلاؤه، ومن طبيعة الصدق أن يحيا ويثبت، ومن طبيعة الباطل أن يتوارى ويزهق.

مهما بدا للباطل وللزيف صولة ودولة، فإنه ينتفخ وينتفج وينفش؛ لأنه

---

(١) «إيثار الحق على الخلق» للسيد مرتضى اليماني ص(٢٤) ـ مطبعة الآداب والمؤيد.

لا يطمئن إلى حقيقة، ومن ثم يحاول أن يموّه على العين، وأن يبدو عظيمًا كبيرًا ضخمًا راسخًا، ولكنه هش سريع العطب، كشعلة الهشيم ترتفع في الفضاء عاليًا ثم تخبو سريعًا وتستحيل إلى رماد، بينما الجمرة الذكية تدفئ وتنفع وتبقى، وكالزبد يطفو على الماء ولكنه يذهب جفاء ولا يبقى.

* وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ**﴾ الآية [الرعد: ١٧].

إن الحق له العقبى وله البقاء.

إن كلمة الحق الطيبة كالشجرة الطيبة ثابتة سامقة مثمرة، ثابتة لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل، ولا تقوى عليها معاول الطغيان.

والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة قد تهيج وتتعالى وتتشابك، ويُخيل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى، ولكنها تظل نافشة هشة، لا قرار لها ولا بقاء.

والحق الأصيل لا يموت ولا يُزوَى، مهما زحمه الشر والزيف وأخذ عليه الطريق، إن الخير بخير، وإن الشر بِشَرّ.

إن الحق نور تشرق به النفس، فترى الطريق واضحة إلى اللَّه لا يشوبها غبش ولا يحجبها ضباب، غبش الأوهام والخرافات، أو غبش الشهوات وضباب الأطماع، ومتى رأت الطريق سارت على هدى لا تتعثر ولا تضطرب ولا تتردد ولا تحتار.

والحق نور يشرق في القلب، فيشرق به الكيان البشري يرقرقه ويجلوه ويطلقه من إسار الأرض ومن طينها اللازب المعتم.

ولا بد للحق من أناس يصدعون به ولا يكتمون، فالساكت عنه شيطان أخرس. قال ابن القيم: «فتارك حقوق اللَّه التي عليه أسوأ حالاً عند اللَّه ورسوله من مرتكب المعاصي؛ فإن ترك الأمر أعظم من ارتكاب النهي من أكثر من ثلاثين وجهًا ذكرها شيخنا في تصانيفه، ومَن له خبرة بما بعث اللَّه به رسوله ﷺ، وبما كان عليه أصحابه رأى أن أكثر مَن يُشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينًا، واللَّه المستعان، وأيّ دين وأيّ خير فيمن يرى محارم اللَّه تُنتهك وحدوده تُضاع، ودينه يُترك وسنَة رسول اللَّه ﷺ يُرغَب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس! كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين[1].

وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نُوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذّل، وجدّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسَب وُسعه. هؤلاء ـ مع سقوطهم من عين اللَّه ومَقْت اللَّه لهم ـ قد بُلوُا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون؛ وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتمّ كان غضبه للَّه ورسوله أقوى وانتصاره للدين أكمل».

❑ ثم قال: «ورأس التقوى والإحسان خُلوص النية للَّه في إقامة الحق، واللَّه سبحانه لا غالب له، فمن كان معه فَمَن الذي يغلبه أو يناله بسوء؟ فإن كان اللَّه مع العبد فمن يخاف؟ وإن لم يكن معه فمن يرجو؟ وبمن يثق؟ ومَن ينصره من بعده؟ فإذا قام العبد بالحق على غيره وعلى نفسه أوّلاً، وكان قيامه باللَّه وللَّه لم يقم له شيء، ولو كادَتْه السموات والأرض والجبال لكفاه اللَّه مؤنتها، وجعل له فرجًا ومخرجًا، وإنما يُؤتى العبد من تفريطه وتقصيره في

(١) وهل أفسد الدين إلاّ الملوك ... وأحبـار سوء ورهبانها
لقد رتـع القـوم في جيفة ... يبين لذي اللب أنتـانها

هذه الأمور الثلاثة، أو في اثنين منها، أو في واحد؛ فمن كان قيامه في باطل لم يُنصَر، وإنْ نُصِر نصراً عارضًا فلا عاقبة له وهو مذموم مخذول، وإن قام في حق لكن لم يقم فيه للَّه وإنما قام لطلب المَحْمَدَة والشكور والجزاء من الخلق أو التوصل إلى غرض دنيوي كان هو المقصود أولاً، والقيام في الحق وسيلة إليه، فهذا لم تُضمَن له النصرة؛ فإن اللَّه إنما ضمن النصرة لمن جاهد في سبيله، وقاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا، لا لمن كان قيامه لنفسه وهواه»[(١)] .

❑ وفي زمننا هذا الذي غلبت فيه المنكرات و«اقشعرت الأرض، وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البر والبحر من ظُلم الفجرة، وذهبت البركات، وقلّت الخيرات، وهزلت الوحوش، وتكدّرت الحياة من فسق الظلمة، وبكى ضوء النهار، وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة، والأفعال الفظيعة، وشكا الكرام الكاتبون إلى ربهم من كثرة الفواحش، وغلبة المنكرات والقبائح، وهذا منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومؤذن بليل بلاء قد ادْلهمّ ظلامه»[(٢)] .

وإذا تُرِك عوام المسلمين البسطاء لشُبَه الزنادقة والمجرمين والمنافقين، «وإذا صادفت هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية، وخيالات فاسدة، وظنون كاذبة، جالت فيها وصالت، وقامت بها وقعدت، واتسع مجالها، وكثر بها قيلها وقالها، فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دويانها.

وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم، والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن حوزتهم، والمقاتلين تحت ألويتهم، والمكثرين من سوادهم،

(١) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن قيم الجوزية (٢/١٥٨ ـ ١٥٩).
(٢) «الفوائد» لابن القيم ص(٨٨) بتحقيق محمد عيون.

ولعموم البلية بهم، وضرر القلوب بكلامهم، هتك اللَّه أستارهم في كتابه غاية الهتك، وكشف أستارهم غاية الكشف، وبيّن علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم» (١).

□ يقول الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ: «أما عن مجابهة الغزو المتمثل في الإذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التي ابتليت بها المجتمعات الإسلامية في هذا العصر وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمرأة المسلمة رغم ما تشتمل عليه في أكثر الأحيان من السم الزعاف والدعاية المضللة فهي من أهم المهمات لحماية الإسلام» (٢).

□ ولا نجاة إلا بالمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال اللَّه تعالى: **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** [الأعراف: ١٦٥].

* **وبعد**: فللَّه در عبداللَّه بن المبارك حين يقول: «إلى اللَّه نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان وقلة الأعوان، وظهور البدع» وإلى اللَّه نشكو عظيم ما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء وأهل السنة وظهور البدع فقد انكشف الغطا، وبرح الخفا، فعُبِدت الأهواء، واستُعملت الآراء، وقامت سوق الفتنة، وانتشرت أعلامها، وظهرت الردّة، وانكشف قناعها، وقُدحت نار الزندقة، فأُضرِمت نيرانها، وخُلف محمد ﷺ في أمته بأقبح الخَلْف، وعظمت البلية، واشتدت الرزية، وظهر المبتدعون، وتنطّع المتنطِّعون، وانتشرت البدع، ومات الورع، وحُزِّب الأحزاب، وخُولف الكِتاب، واتُّخِذ أهلُ الإلحاد رؤوسًا وأربابًا، وأصبحت الأمة في شر حالاتها وما ذاك إلا عقوبة لها لتركها

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم ص(١١٢).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز (١/ ٣٩٢).

لأمر ربها، وتضييعها لهَدْي وسنة نبيِّها، وصَدْفها عن الحق، وميلها إلى الباطل، وإيثارها الأهواء، وللَّه عز وجل عقوبات في خلقه عند ترك أمره، ومخالفة رسله، فأُشعلت نيران البدع في الدين.

❏ ونطقت الرويبضة وكل تافه سفيه يتكلّم في دين اللَّه ويهدم الثوابت من دين اللَّه، ويطعنُ في السُّنَّة الصحيحة المشرَّفة التي سهرت لحفظها عيونُ سفيان الثوري والبخاري وعبداللَّه بن المبارك وباقة الأئمة.. وأفنوا قواهم حِلاًّ وترحالا في جمعها وحفظها وتدوين أسماء حملتها من الرجال وجرحهم وتعديلهم حتى قال أحد المستشرقين: «كفى المسلمين مفخرة عِلْم الحديث» ولكن هذا لم يعجب نبتة سوء من دعاة على أبواب جهنم من بني جلدتنا يتكلّمون بألسنتنا فأتوا إلى الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما بل والمتواترة فطعنوا فيها وهدموها وسخروا من أحاديث قتل المرتد.. وتعرَّوا من لباس التقوى فصار لزامًا على كل من استطاع تعريتهم أن يُعرِّيَهمُ ويكشف دجلهم ودخنهم غيرة على دين اللَّه وسنة رسوله ﷺ، وهذا من أعظم الجهاد وهو جهاد الخاصة.

❏ وللَّه در الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام القائل: «المتَّبِع للسُّنَّة كالقابض على الجَمْر وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل اللَّه عز وجل».

❏ قال الألباني ـ رحمه اللَّه ـ: «هذا في زمانه، فماذا يُقَال في زماننا؟!».

فكيف بمن يكشف عوار هؤلاء المبتدعة الطاعنين في السنة الصحيحة؟!!

وزماننا هذا يصدق فيه قول حذيفة رضي الله عنه: «يأتي على الناس زمان لأن تكونُ فيه جيفة حمار أحبّ إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم»؛ لأن من تصدّى في هذا الزمان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقل على القلوب

وإن كان خفيفًا، وسمج في العيون وإن كان لطيفًا، ورُمِي بالكذب وساءت فيه الظنون، وقُصد بالأذى، وكثر أعداؤه، وقلّ أصدقاؤه، ورُمِيَ وأُلقِيَ في مهاوي الردى.. ومع هذا فالصادق يقطع أطماعه من الخَلْق، وثيقٌ بكفالة الحق، ويتوكّل على اللَّه فهو حَسْبُ من توكّل عليه، ويفوّض إليه في جميع أحواله، فمرجع الأمور كلها إليه.

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غِضَابُ
وليت الذي بيني وبينكَ عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صَحّ منكَ الوُدُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ ... وكُلُّ الذي فوق التراب ترابُ
فيا ليت شُربي من وِرَادك صافيًا ... وشُرْبِيَ من ماء الفراتِ سرابُ
متى لم يكن بيني وبينك ريبةٌ ... فكُلُّ نعيم صَدَّعَنكَ عذابُ

❑ وجمعي وكتابي هذا فضحٌ لمنكري السنة من أفراخ المعتزلة من العقلانيين الذين يقدمون العقل على النقل، ويردون النقل من صحيح السنة إن لم يوافق أهواءهم ومشاربهم ـ ولا يضيرني أن هؤلاء في زماننا يشار إليهم بالبنان وكأنهم للأمة الأئمة والأعلام.. فما أشدّ غربة أهل السنة في هذا الزمان.

❑ قال سفيان: «استوصوا بأهل السُّنَّة خيرًا فإنهم غرباء».

وقال أيضًا: «الملائكة حرّاس السماء، وأصحاب الحديث حُرّاس الأرض».

❑ وقال الفضيل بن عياض: «إن للَّه عبادًا يُحيي بهم البلاد، وهم أصحاب السُّنة».

❑ وقال كهمس: «من لم يتحقَّق أن أهل السنة حفظة الدين، فإنه يُعَدُّ في ضعفاء المساكين، الذين لا يدينون للَّه بدين، يقول اللَّه لنبيه ﷺ: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾ [الزمر: ٢٣]، ويقول رسول اللَّه ﷺ: «**حدثني**

جبريل عن اللَّه».

□ ومنكرو السُّنة يعيش لدحض فِريتهم وكشف جرأتهم على اللَّه ورسوله رجالٌ، مثلما نفى الكذبَ عن حديث رسول اللَّه ساداتُ الرجال، فقد قيل لشيخ الإسلام عبداللَّه بن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة ما نصنع فيها قال: يعيش لها الجهابذة من الرجال.. قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ وحفظ السنة يكون بنفي ما لم يكن منها، وإثبات ما نفاه العقلانيون من صحيحها .. والحمد للَّه أن مكر أولئك المبتدعة من منكري السنة ورجال المدرسة العقلية هو يبور، ومن كان رسول اللَّه ﷺ هو خصمه فمن وليُّه وناصره؟!.

● وقد قال ﷺ: «**أبى اللَّه أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**»(١).

● وقال ﷺ: «**إن اللَّه حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**»(٢).

□ فاللَّهم اجعل عملي هذا خالصًا لوجهك الكريم، واكتب له القبول في الأرض، وهبْ لي أجر الذابّ عن سنة رسولك ﷺ واجمعني به في أعالي الفردوس آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

وكتبه: الفقير إلى عفو ربه ورحمته

سيد بن حسين العفاني

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم في «السنة»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٦).

(٢) **حسن**: رواه البزار والبيهقي، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٥).